

عادة الختان أصلها وتاريخها وانتشارها

بمناسبة النيوزين والاسلام

بقلم الدكتور مأمون عبد السلام

والختان من مميزات الشعوب السامية وخاصة اليهود منهم ،
وقد كان بنو اسرائيل من قديم الزمان يختنون الرجال وقت زفافهم ،
فاذا أظهر العريس أى خوف أو وجل كان ذلك دليلاً على تقص
في رجولته فتهجره عروسه وتلبسه العمة . وقد علمت من بعض
المعمرين أنه كانت المادة في بلدة التلين بمركز منيا القمح أن
يختن الرجل يوم زفافه

وقد فرض الله سبحانه وتعالى الختان على سيدنا ابراهيم
عليه السلام وعلى ذريته وعبيده ، وكان قد أمره بأن يغير
اسمه من ابرام إلى ابراهيم لأنه سيكون أباً للبشر . فقد جاء في
سفر التكوين (١٧ ÷ ٢٣ - ٢٧) : « فأخذ ابراهيم اسماعيل
ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المتباعين بفضته كل ذكر
من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرتهم في ذلك البيت عينه كما
كلمه الله ، وكان ابراهيم ابن ثمانين سنة حين ختن في لحم
غركه ، وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم
غركه ، في ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم اسماعيل ابنه وكل رجال
بيته ولدان البيت والمتباعين بالفضة من ابن التريب ختنوا معه »
ويختن اليهود أولادهم في اليوم الثامن من ولادتهم كما ختن
ابراهيم ابنه اسحق فريضة الله عليه . ففي سفر التكوين (١٧)
ابن ثمانية أيام يختن كل ذكر في أجيالكم

وقد قام اليهود بهذه الفريضة إبان أسرمهم في أرض مصر ،
ولكنهم أقلموا عنها وهم في بيرة سيناء فلم يختن موسى عليه السلام
ابنه إلى أن قطعت زوجته صفورة غركه استجاباً لرضى الرب
ومنما لنقمته ؛ فقد جاء في سفر الخروج (٤) : وحدث في الطريق
في المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله فأخذت صفورة صوآنة
وقطعت غرلة ابنها ومست رجله

ولما بلغ بنو اسرائيل كنعان أرض الموعد رجعوا إلى
التختن فتختنوا بسكاكين من صوان في مكان جلجال كما ورد
في يشوع ٥ (٢) : « في ذلك اليوم قال الرب لبشوع اصنع
لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بني اسرائيل ثانية .
فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بني اسرائيل في تل
الغلف . وهذا هو ختن يشوع ايام . إن جميع الشعب الخارجين
من مصر المذكور جميع رجال الحرب ماتوا في البرية على الطريق
بمخروجهم من مصر . لأن جميع الشعب الذين خرجوا كلهم

إنه لمن الصعب على المشتغلين بدراسة طبائع الأمم وأحوالها
أن يهتدوا إلى تحديد العصر الذي بدأ فيه الانسان يختن . وم
لا يزالون في حيرة من الدوافع التي حملته على تلك العادة ، فتقول
فئة منهم إن بعض القبائل لجأت إلى الختان كعلامة تميزها نفسها
عن سواها كما يلجأ بعض قبائل السودان إلى تشريط خدودهم
أوال اقتلاع إحدى أسنانهم القاطعة . ويملأ آخرون بأنه وقاية
سحرية ، ويظن غيرهم بأنه عقيدة دينية يضحي الفرد بقتضائها
جزءاً من جسمه فداء عن نفسه وتقرباً إلى ربه . ويعتقد آخرون
بأنه ميزة أرستقراطية

وعادة الختان عريقة في القدم ، يدل على ذلك انتشارها في
أنحاء قاصية من المعمور بين أجناس من البشر قد فصلت الطبيعة
بعضهم عن بعض منذ أحقاب سحيقة . فلا تكاد تخلو قارة من
شعوب تمارس تلك العادة ، قراها بين قبائل السود من سكان
استراليا ، كما أنها توجد بين قبائل الجالا والفلاشه ، يهود
الأحباش ، وبين غيرهم من قبائل الحبشة ، وعند قبائل البانتو
والساي والكفار والناندي بأفريقيا ، وقبائل الأوتاهيت وسكان
جزائر التونجا والبولينزيا وجزيرة فيجي وكاليدونيا الجديدة

ولما اكتشف الأسبانيون أمريكا منذ أكثر من أربعمائة
سنة مضت وجدوا عادة الختان منتشرة بين أقوام الناهواطل
وبين أمة الأزيك سكان بلاد المكسيك القدماء كما شاهدها
بين سكان حوض نهر الأمازون بأمريكا الجنوبية

وكان قدماء المصريين يختنون من عصور غابرة قبل سنة
١٤٥٠ ق م . قترام قد صوروا ولدين يختنان على جدران معبد
خونسو بالكرنك . وقد ذكر التاريخ أن مصر في عهد صربنتاح
قد غزاها قوم من سكان بحر الروم كانوا يختنون

الميلادى طائفة مسيحية اسمها «سركيسى» تأمر بالختان كما يدل اسمها على ذلك والختان سنة كوثية كثرية الأحية عند المسلمين وقد أفتى بذلك جمهور العلماء.

ويتبع عادة الختان عادات أخرى على غاية من الغرابة . ففي بلاد البوسنة مثلاً يمنع الصبي من شرب الماء شهراً كاملاً ويختن الصبيان عند قبائل الكفار في جنوب أفريقيا عند بلوغهم الحلم باحتفال رائع عظيم . فيضربون حتى تدمى جلودهم ، ثم يذر الفلفل الأحمر (الشطة) على جروحهم كي يختبر مقدار صبرهم على الألم وبعد ذلك يختنون

ويرتدى شبان قبيلة الساي (وهم من السود بإفريقيا الشرقية) عند ما يقرب وقت ختنهم ملابس النساء ، ويطلون وجوههم بالأبيض والأحمر ويتخضبون ويظهرون كل علامات الأنوثة اعتقاداً منهم بأن ذلك يبعد الشياطين عنهم فلا يصيبهم منها أذى ومن عادة قبائل الناندى بشرق أفريقيا البريطانى أن يزور البنات الغتبان قبيل الختان ويقرضنهم ملابسهن وحايهن ليلبسوها ، فاذا تم الختان يرتدى الشبان المختنون ملابس اللزوجات من النساء ويتبخرون بها بكل دلال النساء عدة أشهر حتى تبرا جروحهم ويختن الشبان من قبائل السود باستراليا قبل زواجهم فيجبرون على الجرى فى الادغال ووراءهم القوم يستحثونهم على الثابة ساعات عدة بالضرب الشديد حتى يسقطوا من الاعياء . فيوقد الرجال بعد ذلك ناراً ويختنون الشبان بقطعتين من الزجاج ويتركونهم فى حراسة رجل أو امرأة من القبيلة إلى أن يلتئم الجرح ثم يكون لهم حق الزواج . والنريب فى أمرهم أن المختن يلبس فوق وجهه نقاباً خشبياً (وجهاً من خشب) كيلا يراه أحد مدة أسبوعين

ومن عادة بعض هذه القبائل أن تلف القلفة فى قطعة من جلد الكاجيرو . ثم تعطى لزوجته فتحفظ بها طول حياتها ومن عادة أهل أواسط استراليا أن يلقوا ما يسيل من الدم وقت الختان أو يطلوا به صدورهم وجباههم لاعتمادهم أن ذلك يزيد فى قوتهم وعندما يختن قوم الأرونطا أولادهم يصرخ الرجال بأعلى

غتونين . وأما جميع الشعب الذين ولدوا فى القفر على الطريق بخروجهم من مصر فلم يمتحنوا لأن بنى إسرائيل ساروا أربعين سنة فى القفر حتى فنى جميع الشعب رجال الحرب الخارجين من مصر الذين لم يسموا لقول الرب الذين حلف الرب لهم ألا يريهم الأرض التى حلف الرب لأبائهم أن يعطينا إياها ، الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً . وأما بنوم فأقامهم مكانهم فأبام ختن يشوع لأنهم كانوا قلقاً إذ لم يمتحنوم فى الطريق . وكان بعد ما انتهى جميع الشعب من الاختتان أنهم أقاموا فى أماكنهم فى المحلة حتى برؤوا . وقال الرب ليشوع اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر فدعى اسم ذلك المكان الجبال إلى هذا اليوم »

ويختن اليهود أولادهم فى منازلهم وفى الكنيس ، فيقوم بهذه العملية والد الطفل ، أو رجل اختص بذلك يشترط فيه التدن وحسن السيرة وألا يؤجر على عمله ، بل يقوم به ابتغاء وجه الله . وكانوا يقطعون القلفة بسكين من الصوان أو من الزجاج أسوة بنى إسرائيل ، ولكنهم استماضوا الآن عنها بمشارط من الصلب . ويجب أن يسيل الدم وقت العملية ، فكانوا فيما سلف يمسحون الجرح ليكثر من نزول الدم ثم يقفونه بعد ذلك بالخر يرشه الختن بضمه ، ولكن ذلك قد بطل . ومن عاداتهم أن يدفنوا القلفة أو يحرقوها

ويعتبر اليهود الختان طهارة ، والطهارة عندهم إما ظاهرية وهى الختان ، أو باطنية وهى طهارة القلب كما ورد فى الكتاب المقدس - أرميا ٩ (٢٥)

ويقول المؤرخون إن هرمانوس أجبر الأثيوبيين على الختان ، وأن بطليموس أيفانيس ختن ولديه أنطونيوس والأجاليوس ولكن الامبراطور بوستيتيانوس قد حرمه على الرومانيين ومن خلف ذلك يقتل . وقد حذا حذوه انطيوكوس ايفانيس ، وشدب من أجل ذلك كثير من اليهود وقتلوا . وقد حرمه كذلك الامبراطور هادريانوس وقسطنطين

ولما جلا المسلمون عن بلاد الأندلس وقامت محكمة التفتيش بالقضاء على ما بقى من آثاره جرمت الختان فى أواخر عهدنا والعادة ألا يختن المسيحيون ولو أن الكثير منهم يمتحنون كما يفعل الأحباش . وقد ظهر فى إيطاليا فى القرن الثانى حشر